

المصارف الإسلامية من منظور تطوّر التمويل الأخلاقي Islamic banks through the prism of the development of ethical finance

البروفيسورة بيللا بتاييفا^{(1)**}

ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي^{(2)*}

⁽¹⁾ جامعة العلوم المالية - موسكو، روسيا، aassanou@gmail.com

⁽²⁾ جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، خروبة، aassanou@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/02/20 تاريخ القبول: 2020/06/23 تاريخ النشر: 2020/09/30

الملخص:

يتناول هذا المقال التجربة الدولية لتطوير المؤسسات المالية البديلة من خلال البنوك الأخلاقية والخضراء، ومن خلال المؤسسات الاستثمارية القائمة على مراعاة المسؤولية الاجتماعية والمعايير الأخلاقية في مختلف أنشطتها التمويلية والاستثمارية. وتبرز المصارف الإسلامية والتمويل الإسلامي في هذا السياق كحالة لها خصوصيتها وتفردها بين البنوك الأخلاقية، وهو ما جعل صناديق الاستثمار الإسلامية تدرج ضمن صناديق الاستثمار المسؤول اجتماعياً بالمعايير الحديثة.

^{**} البروفيسورة بيللا بتاييفا: أستاذة بأعلى هيئة علمية للمالية في روسيا وهي جامعة العلوم المالية التابعة لحكومة روسيا الاتحادية، لها أكثر من ثماني كتب وأكثر من ستين بحثاً محكماً، خاصة حول حوكمة الشركات، والمسؤولية الاجتماعية للشركات، من منشوراتها العلمية: السياق العالمي للمسؤولية الاجتماعية للشركات (2010م)، والمسؤولية الاجتماعية للدول الإسلامية (2009م)، وغيرهما. وقد نشر هذا المقال بمجلة «قضايا الاقتصاد المعاصر Проблемы современной экономики»، (العدد: 1-45/ السنة: 2013م-ص/207-272)، وقد تكرمت مشكورة بالموافقة على ترجمته إلى العربية.

^{*} المؤلف المرسل

البروفيسورة بيللا بتايففا، ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي

يحلّل هذا المقال أيضاً آفاق تطوير المؤسسات المالي البديلة في شتى دول العالم عموماً وفي روسيا على وجه الخصوص؛ وكان الدافع إلى تناول هذه الحثية أنّ الأزمة المالية الدوليّة الأخيرة أظهرت عيوباً هيكلية في النظام المالي الحالي، وهو ما يدعو اليوم إلى بحث السبل التي يمكن من خلالها أخلفة الاستثمار من أجل تحقيق اقتصاد عادل ومسؤول اجتماعياً، وسوف يكون لأدوات التمويل الإسلامي دور رائد في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: المصارف الإسلامية؛ الاقتصاد الإسلامي؛ البنوك الأخلاقية؛ البنوك الخضراء؛ المسؤولية.

Abstract:

This article discusses the international experience of developing the alternative financial institutions in the form of ethical and green banks, and socially responsible investment institutions that incorporate ethical standards into their core activities. Islamic banking is a special case among ethical banks, and Islamic investment funds are a type of socially responsible investment fund. This article analyzes the prospects for growing alternative financial institutions in various countries in the world in general and in Russia in particular.

The international financial crisis has demonstrated the fragility and shortcomings of the current international financial system. Today, there is an urgent question about the ways and possibilities through which ethical standards can be returned to the financial sphere for an ethically and socially, not only economically. Islamic financing instruments will have a leading role in this field

Keywords: Islamic banks; Islamic economy; ethical banks; green banks; social responsibility.

مقدمة:

يناقش المقال التجربة الدولية لتطوير المؤسسات المالية البديلة في شكل البنوك الأخلاقية والخضراء، ومؤسسات الاستثمار القائمة على المسؤولية الاجتماعية التي تدمج المعايير الأخلاقية في نشاطاتها الأساسية.

تعتبر الباحثة أنّ المصارف الإسلامية بمثابة حالة خاصّة بين البنوك الأخلاقية، كما ترى صناديق الاستثمار الإسلامية كنوع من صناديق الاستثمار المسؤولة اجتماعياً. ويحلّل هذا المقال آفاق تطوير المؤسسات المالية البديلة -بما في ذلك الإسلامية- في روسيا.

لقد أظهرت الأزمة المالية الدّوليّة هشاشة النّظام المالي الدّولي الحالي وعيوبه، واليوم هناك سؤال يُطرح محدّد حول السّبل والإمكانيّات التي يمكن من خلالها إعادة المعايير الأخلاقية إلى المجال المالي. وها هم اليوم ممثّلو الاستثمارات ذات التّوجّه الأخلاقيّ يبحثون عن طرق لإنشاء اقتصادٍ أكثر عافيةً بما في ذلك من النّاحية الأخلاقية؛ حيث تظهر اليوم بنوك أخلاقية خضراء في جميع أنحاء العالم -وإن كان ذلك في شكل أمثلة معزولة-، كما أنّ عدد صناديق الاستثمار المسؤولة اجتماعياً أو الصّناديق الأخلاقية أخذ في الازدياد.

إنّ البنوك الأخلاقية والخضراء، والصّناديق الأخلاقية (صناديق الاستثمارات المسؤولة اجتماعياً)، وكذا جميع أشكال المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات المالية؛ تمثّل كلّها مظاهر تحرّك اجتماعي واسع النّطاق نحو مزيد من المسؤولية الاجتماعية والبيئية في القطاع المالي، وتتطوّر التّقنيات الأخلاقية في القطاع المالي بوتيرة ضئيلة عن الحركات المماثلة في مجال الإنتاج والتّجارة والاستهلاك. على أنّ بعض الحركات الاجتماعية اليوم يمكن اعتبارها أمثلة نموذجية بمجداً؛ مثل «حركة من أجل تجارة أخلاقية وعادلة»¹،

البروفيسورة بيللا بتايففا، ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي

وكذا «تّيار الفكر الأخلاقي للاستهلاك وأخلقة أساليب العيش»، مع الأخذ بعين الاعتبار مراعاة العناية بالبيئة المحيطة على النّحو الذي تمثّله حركة أنماط الحياة الصّحية والاستدامة² (LOHAS) وغيرها.

تعتبر الأعمال المصرفية والماليّة المستندة إلى المعايير الأخلاقيّة للمسلمين جزءاً من السّوق الماليّة الدوليّة، كما أنّ جدوى هذه المؤسّسات الماليّة واستمراريتها في أوقات الأزمات قد جذب إليها اهتماماً فعليّاً مفعماً بالحويّة؛ ليس فقط في الدّول غير الإسلاميّة؛ بل في روسيا أيضاً. بالنّسبة لروسيا تعتبر المصارف الإسلاميّة والتمويل الإسلامي حلولاً بديلة، وهو ما يمثّل أحد مجالات استثمار رؤوس الأموال الرّامية إلى تنويع المخاطر. وسوف نناقش في هذا المقال سؤالين اثنين:

الأول: ما هي التّجاهات تطوير سوق التّمول الأخلاقي في مختلف دول العالم وفي روسيا أيضاً؛ خاصّة فيما يتعلّق بصناديق الاستثمارات المسؤولّة اجتماعيّاً والبنوك الأخلاقيّة والخضراء.

الثّاني: هل يمكن تصنيف البنوك الإسلاميّة على أنّها أخلاقيّة؟ وما هي آفاق تطوير التّمول البديل بما في ذلك الصّيرفة الإسلاميّة والتمويل الإسلامي في روسيا؟.

1- سوق التمويل الأخلاقي والاستثمار الأخلاقي:

في البداية كان الاستثمار الأخلاقي قد تمّ تنفيذه وفقاً للمبادئ الدينيّة والأخلاقيّة العالميّة، ويعتقد بأنّ أوّل صندوق استثماريّ أخلاقيّ قد ظهر في الولايات المتحدة الأمريكيّة عام 1971م مع مبادرة «صندوق باكس العالمي» (Pax World Funds)؛ ومع ظهور مفهوم التنمية المستدامة وتطويره في وقت لاحق، صار ينظر إلى الاستثمارات المسؤولة اجتماعيّاً على أنّها استثمار في المشروعات المتوافقة مع مبادئ التنمية المستدامة.

لقد كان نموّ الاستثمارات المسؤولة اجتماعيّاً في مختلف دول العالم في الأعوام الأخيرة مدفوعاً بالقلق العامّ المتنامي بشأن المخاوف التي تكتنف قضية التنمية المستدامة والمسؤوليّة الاجتماعيّة للشركات الاستثماريّة. حيث تشعر أعداد كبيرة ومتزايدة من المستثمرين بالحاجة ليس فقط إلى الحصول على عوائد أرباح على رؤوس أموالهم، بل لكي تكون استثماراتهم وفقاً لقناعاتهم الدينيّة والأخلاقيّة؛ من حيث المحافظة على البيئة وإيجاد التّغيير الاجتماعيّ الإيجابي.

أمّا اليوم، فإنّ الاستثمار الأخلاقي بمختلف تسمياته (المسؤول اجتماعيّاً، أو الاستثمار الاجتماعي، أو الموجه اجتماعيّاً، أو الأخلاقي)، يشير إلى عمليّة اتّخاذ القرارات الاستثماريّة التي تأخذ بعين الاعتبار العواقب الاجتماعيّة والبيئيّة للاستثمارات في إطار التّحليل المالي التّقليدي.

تعتمد معايير الاختيار في صناديق الاستثمار المسؤولة اجتماعيّاً على خصائص الصّندوق، وتنقسم صناديق الاستثمار المسؤولة اجتماعيّاً حالياً إلى أخلاقيّة وخضراء، كما يمكن تصنيفها إلى علمانيّة ودينيّة، وهذه الأخيرة يتمّ إنشاؤها عادةً وفقاً للمبادئ الأخلاقيّة لأتباع ديانات معيّنة.

البروفيسورة بيللا بتايففا، ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي

ووفقاً للإحصائيات في السنوات الأخيرة تمّ تسجيل زيادة ملحوظة في صناديق الاستثمار والأصول المسؤولة اجتماعياً تحت إدارتها. وبالتالي، وفقاً لتقرير المنتدى المستدام لعام 2010م (منتدى الاستثمار الأوروبي المستدام) في 31 ديسمبر 2009م³؛ فقد زادت الأصول التي تديرها صناديق الاستثمار المسؤولة اجتماعياً في القارة الأوروبية من (2.7) تريليون يورو إلى خمسة (5) تريليون يورو. وقد بلغت نسبة النمو (85 %) منذ تاريخ التقرير السابق قبل عامين. وتجدد الإشارة إلى أنّ الرقم الحقيقي لهذا النمو أكبر بكثير؛ حيث إنّ هذا التقرير لم يشمل المملكة المتحدة التي تعتبر اللاعب الأكبر في سوق الاستثمار المسؤول اجتماعياً في أوروبا. وعلى هذا النحو فإنّه خلال الأزمة الفارطة قد ازداد حجم الأصول الخاضعة لإدارة صناديق الاستثمار المسؤولة اجتماعياً.

بالإضافة إلى الدول الأوروبية يتمّ اليوم بفعالية كبيرة تطوير صناديق الاستثمار المسؤولة اجتماعياً في الولايات المتحدة الأميركية، وكندا، وأستراليا، ونيوزيلندا، واليابان. كما يتمّ تشغيل هذه الصناديق بنجاح أيضاً في الأسواق الناشئة كما هو الحال في الصين والبرازيل وجنوب أفريقيا⁴.

وفي الجدول الآتي إحصائيات حديثة للاستثمارات المسؤولة اجتماعياً في مختلف الدول والمناطق في العالم (الشكل 1)⁵:

الشكل (1)

الدولة	القيمة بالعملة الوطنية	القيمة بالمليار يورو
الولايات المتحدة	3069 مليار دولار	2141
كندا	609 مليار دولار كندي	405
أستراليا	93 مليار دولار أسترالي	58
اليابان	579 مليار ين ياباني	4
أوروبا	4986 مليار يورو	4986
المجموع		7594

حاليا لا توجد معايير موحّدة للاستثمارات المسؤولة اجتماعياً في الولايات المتحدة وأوروبا؛ وهذه المقالة تستخدم الإحصاءات الأوروبية فقط، أما في سوق الأوراق المالية الروسية فلا يوجد أيّ تمثيل للاستثمارات المسؤولة اجتماعياً. بنك التنمية والشؤون الاقتصادية الخارجية الروسي⁶ -وهو بنك عمومي- يعكف حالياً على وضع إجراءات لتقييم المشاريع التي يقوم بتمويلها من حيث تأثيراتها الاجتماعية والبيئية، واستشكاف المبادرات الدولية بشأن الاستثمار المسؤول؛ مثل مبادئ الأمم المتحدة للاستثمار المسؤول للمستثمرين المؤسسين، ومبادئ التّعامل.

وقد تمّ بالفعل اعتماد تطوير ممارسات الاستثمار المسؤول ضمن استراتيجيات بنك التنمية والشؤون الاقتصادية الخارجية فيما يتعلّق بالمسؤولية الاجتماعية للشركات للفترة الممتدّة بين عامي (2012 - 2015م)⁷.

ويستكشف المصرفيون اليوم إمكانيّة الحصول على نتائج إيجابية في عمليّات الإقراض والاستثمار، مع أخذ المخاطر البيئية والاجتماعية في الاعتبار. ومن أجل لفت الانتباه لدى الرّأي العامّ إلى هذه المسألة؛ عقد البنك مؤتمرات دولية حول «الاستثمار في التنمية المستدامة: دور القطاع المالي» سنة 2011م، وحول «الاستثمار في التنمية المستدامة: شراكة المؤسسات المالية وقطاع الاقتصاد الحقيقي» سنة 2012م.

2- البنوك الأخلاقية والبنوك الخضراء:

فيما يتعلّق بالبنوك الأخلاقية والخضراء؛ هناك العديد من الدّول الأجنبية التي لديها خبرة في مجال الخدمات المصرفية الأخلاقية، ونعني بالأخلاقية هنا (البنوك الاجتماعية، والجوارية، والأهلية.. إلخ)، أي البنوك التي تساهم بأنشطتها المختلفة في حلّ المشكلات الاجتماعية لمجتمع مجاور معيّن، بحيث تأخذ بعين الاعتبار العواقب الاجتماعية والبيئية للاستثمار عند منح القروض. ولهذه المنظمات أشكال قانونية

البروفيسورة بيللا بتايففا، ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي

مختلفة؛ لكنّها تهدف إلى هدف واحد هو المساهمة في الاقتصاد عن طريق اتّباع مبادئ التّضامن والتّماسك الاجتماعي والتّنمية المستدامة. وتتقاطع أنشطة المصارف الأخلاقية مع أنشطة المصارف الخضراء التي يتمثّل اختصاصها الرئيس في مجال الاستثمارات البيئية، وفي الجدول التّالي (الشّكل 2) نماذج للمصارف الأخلاقية والخضراء في العالم:

(الشكل 2)

الدولة	البنك
بنغلاديش	Grameen Bank ⁸
بريطانيا	Charity Bank Co-operative bank
الدنمارك	Merkur Cooperative Bank
إندونيسيا	Bank Rayita
كندا	Citizens Bank
النرويج	Cultura Savings Bank
فرنسا	Caisse Solidaire du Nord-Pas de Calais Crédit Coopératif
سويسرا	Banque Alternative Suisse
بوليفيا	Banco Solidario
ألمانيا	Pax Bank, Bank für Kirche und Caritas GLSGemeinschaftsbank eG mit Ükobank, Bank Fur Sozialwirtschaft, UmweltBank
إسبانيا	BBK Solidarioa Fundazioa, COLONYA, Caixa Pollenca
إيطاليا	Banca Etica Popolare, Cassa Centrale Banca Trentine, Universal Ethic Bank
هولندا	Triodos Bank
الولايات المتحدة	ShoreBank Pacific Southshore Bank, First Green Bank, TD Bank
السويد	Ekobanken, JAK Medlemsbank

دعونا هنا نلقي نظرة على بعض الأمثلة، لقد تأسّس البنك التعاوني (Co-operative Bank) المملكة المتحدة عام 1872م كشعبة تابعة لجمعية البيع بالجملة. منذ عام 1991م وبعد إجراء مسح شمل سبعة آلاف (6000) شخص من عملائه، أظهر حوالي (84%) من عملائه موافقتهم على أن يكونوا عملاء لبنك أخلاقي، وقد قام هذا البنك التعاوني فعلاً بتغيير أنشطته، وأصبح في وضع بنك أخلاقي. وتتكوّن سياسة هذا البنك في الاستثمار الأخلاقي من ثماني (8) نقاط؛ بما في ذلك رفض المشاركة في صفقات بيع الأسلحة للأنظمة الديكتاتورية، والاستثمار في شركات التبغ، والشركات التي تنتج وتبيع الفراء الطبيعي. ويتحلّى بنجاح نموذج أعمال البنك في كونه أقدم خلال شهر يوليو 2012م على شراء (632) وحدة من مجموعة لويديز المصرفية (Lloyds Banking Group)، ونتيجة لهذه الصفقة لزم زيادة عدد مكاتب التمثيل -الفروع المصرفية- لهذا البنك إلى (1000) مكتب، و«هو ما يعادل (10%) من إجمالي عدد فروع البنوك في المملكة المتحدة»⁹.

كما تصدر شركة غيمينشافتز (GLS Gemeinschafts) الألماني، وبنك تريودوس (Triodos Bank) الهولندي قروضاً للمشاريع «الخضراء» ذات الأهمية الاجتماعية فقط، ثم تأسّس بنك غيمينشافتز (GLS Gemeinschaftsbank) في مدينة بوخوم الألمانية عام 1974م من قبل أنصار الفلسفة الأنثروبولوجية، ويظهر الآن معدلات نموّ عالية، «ولديه الآن نحو (254) موظّفاً، ويبلغ عدد عملائه نحو (80) ألف شخص، كما يبلغ رأسماله الصّافي (67.5) مليون يورو، أمّا قيمة التداول التقدي فتبلغ مليار وستّمائة (1.6 مليار) يورو»¹⁰.

يقوم البنك بالإفصاح للمودعين عن المعلومات المتعلقة بأهداف الاستثمار في التقارير التي يتمّ نشرها ثلاث مرّات في السّنة بمجلة (دير بنك شبيغل - Der Bankspiegel)، ونظراً للنجاحات المالية والاجتماعية التي حقّقها بنك

البروفيسورة بيللا بتايففا، ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي

غيمينشافتز حصل عام (2010م) على جائزة (بنك العام) من قبل قناة الأخبار التلفزيونية (N-tv) ومجلة (Börse Online).

وهناك مؤسسات مالية أخلاقية أخرى في ألمانيا؛ حيث يقوم بنك (Ükobank) من مقره في فرانكفورت بدعم نشط للعديد من المشروعات في العالم الثالث (تأسس البنك عام 1988م). كما تهدف أنشطة (Pax-Bank) في مدينة كولونيا، وكذا (البنك من أجل الكنيسة والكاريتاس - Bank für Kirche und Caritas)¹¹ في مدينة ريغنسبورغ الذي يهدف إلى الحفاظ على القيم الكاثوليكية، ويمتلك مصرف (Pax-Bank) صندوقاً استثمارياً يتجنب الاستثمار في الشركات العاملة في مجال تصنيع الأسلحة وتجارتها وفي شركات التبغ، وكذا في شركات الأدوية التي تنتج وسائل منع الحمل.

كما يختص بنك البيئة (Umwelt-Bank) في مدينة نورمبورغ - الذي يطلق عليه بشكل غير رسمي "البنك الأخضر" - بدعم المشروعات البيئية؛ حيث يقدم حوالي (45%) من استثماراته لدعم بناء المساكن والمنشآت الزراعية، وينفق الباقي على التنمية وتطوير مصادر الطاقة البديلة؛ مثل محطات الطاقة الشمسية، وطاقة الرياح.

يعتبر (بنك غرامين)¹² في بنغلاديش أحد أكثر الأمثلة شهرةً بين البنوك الأخلاقية، فقد لقيت أنشطته اهتماماً عالمياً كبيراً في السنوات الأخيرة، وقد دعت أوساط شتى بالبنك الجوّاري، أو البنك القروي. وقد بدأ (بنك غرامين) أنشطته عام (1976م) كجزء من برنامج بحثي، وتمّ تحويله إلى بنك مستقل بموجب مرسوم حكومي عام (1983م)، وقد أنشئ (بنك غرامين) لتوفير الوصول إلى الموارد المالية لسكان القرى البنغالية النائية، كما أنّه طور نظاماً للإقراض يعتمد على دمج المقترضين في مجموعات مكوّنة من خمسة أشخاص أغلب أعضائها من النساء؛ بحيث يتحمّل هؤلاء الأعضاء المسؤولية المشتركة والجزئية عن بعضهم البعض.

يملك المودعون في هذا المصرف (75%) من رأسماله، بينما تملك حكومة بنغلاديش (25%) منه، ويملك البنك اليوم (1195) فرعاً، و(3.4) مليون مساهم في العديد من دول العالم بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وقد حصل مؤسس البنك البروفيسور محمد يونس على جائزة نوبل للسلام عام (2006م) بسبب زهده ونموذجه الناجح لتمويل الطبقات المحرومة من السكان.

بيد أنّ صناعة القروض الصغيرة تعرّضت للانتقاد في السنوات الأخيرة، ونتيجة للصراع السياسي مع الحكومة عام 2011م تمت إقالة مؤسس البنك من منصب رئيس مجلس إدارته، وقد أدّت استقالته إلى سلسلة من حالات الانتحار بين صغار المزارعين في بنغلاديش بسبب استحالة سدادهم للقروض نتيجة للجفاف.

مثال آخر على البنوك الأخلاقية نجد بنك (JAK Medlemsbank) السويدي الذي يتعامل بدون فوائد -بالمعنى الحرفي للكلمة، وهو بنك تعاوي يملك نظاماً لتجميع النّقاط للمدّخرات، بحيث إنّ المقترض لا يمكنه الحصول على قرضٍ إلاّ بعد تجميع نقاطٍ لتخزينه الأموال في البنك مسبقاً. ولهذا البنك نظائره في الدنمارك وألمانيا، وقد انطلق مؤسسو هذا البنك من مبدأ أنّ الفائدة عن القروض تساهم في الاستعباد والاسترقاق؛ حيث إنّ المال ينتقل من الطبقات الأكثر فقراً إلى الطبقات الأكثر ثراءً في المجتمع؛ وتتوافق هذه الفكرة مع أفكار العمل المصرفي الإسلامي.

تتحد البنوك الأخلاقية في مناطق شتّى من العالم في شكل اتّحاديات وجمعيات، ففي أوروبا منذ عام (2001م) تأسست الاتّحادية الأوروبية للبنوك الأخلاقية والبديلة (FEBEA-Fédération européenne des banques éthiques et alternatives)

التي قامت بإنشائها ستّ شركات هي:

- الائتمان التعاوني من فرنسا (Crédit Coopératif).

- وصندوق التضامن لشمال بادوكاليه من فرنسا أيضاً
(Caisse Solidaire Du Nord Pas De Calais).

- وتعاونية كريدال من بلجيكا (Crédal).

- وهيفبوم من بلجيكا أيضا (Hefboom).
- وبنك إيتيكا من إيطاليا (Banca Etica).
- وتعاونية الاستثمار الاجتماعي والاقتصادي البولندية (Towarzystwo Inwestycji Społeczno-Ekonomicznych TISE).
- وبحلول شهر يونيو 2009م كانت هذه الاتحادية قد تألفت بالفعل من 25 مؤسسة مالية من أحد عشر (11) بلداً من بلدان الاتحاد الأوروبي، بما في ذلك أحد عشر (11) مصرفاً، وست (6) تعاونيات للدّخار والائتمان، وخمس (5) شركات استثمارية، وثلاث (3) مؤسسات مالية.

هناك شيء واحد يربط بين هذه البنوك الأخلاقية والتعاونيات المصرفية التي ألقينا عليها الضوء آنفاً؛ وهو أنّها قامت جميعاً ببناء نماذج بديلة ناجحة تجمع بين توليد الدّخل المالي والمعايير والقيود الأخلاقية، وأثبت أنّ الاستثمار الشريف، والاستثمار في المشروعات الخضراء اليوم يمكن أن يكون ناجحاً من النّاحية المالية.

3- المصارف وصناديق الاستثمار الإسلامية كجزء من سوق التمويل الأخلاقي:

يعتمد التمويل الإسلامي على القيم الإسلامية، ويتمّ ضبط أنشطته وفقاً لمبادئ الفقه الإسلامي «الشريعة». ووفقاً للشريعة الإسلامية فإنّ الحكم على أيّ نشاطٍ يجب أن يتمّ بالنّظر إلى أثره في تعظيم الرّفاه الاجتماعي وتحقيق الانسجام الاجتماعي تحقيقاً لذلك المبدأ الإسلامي الذي يسمّى «المصلحة»؛ وكلّ الاستثمارات الإسلامية تخضع في الحكم عليها لمدى توافق موضوعات [مجال] الاستثمار مع هذا المبدأ. وبشكل أكثر تحديداً فإنّ الشريعة الإسلامية تحظر أيّ استثمار في المؤسسات التي تمارس تجارة الكحول والتبغ -إنتاجاً وبيعاً-، أو صناعة المواد الإباحية والأسلحة إذا لم يكن الغرض منها الحماية، كما تمنع الاسترباح عن طريق القمار، والاستثمار في المؤسسات المالية التقليدية.

تعتبر صناديق الاستثمار الإسلامية شكلاً من أشكال صناديق الاستثمار المسؤولة اجتماعياً، ومن أمثلة صناديق الاستثمار الإسلامية المسؤولة اجتماعياً: صندوق أمانة للاستثمار المشترك (Amana Mutual Funds) التي تشمل: (صندوق أمانة للإيرادات، وصندوق أمانة للنمو)، ومنها أيضاً صناديق واحة الهلال المشتركة (Oasis Crescent Mutual Funds)، التي تشمل: صناديق واحة الهلال للأسهم العالمية، وصناديق واحة الهلال للإيرادات العالية.

[Oasis Crescent Global Equity Fund,]

[Oasis Crescent Global Income Fund]، ومنها أيضاً صندوق البركة العام، وصندوق درع الفيصل، وغيرها كثير؛ غير أنه لا يوجد إحصائيات موحدة حول صناديق الاستثمار المسؤولة اجتماعياً في البلدان الإسلامية.

وعلى النحو الآنف ذكره؛ تتوافق معايير اختيار الاستثمارات المسؤولة اجتماعياً في الصناديق الإسلامية مع معايير الاختيار في الصناديق الأخلاقية في الدول الغربية مع استثناءات قليلة، ويكمن الفرق الأساسي بينهما -إضافة إلى حظر إنتاج لحم الخنزير وبيعه- في أنّ صناديق الاستثمار التقليدية المسؤولة اجتماعياً تسمح لنفسها بشراء أدوات الدخل الثابت كالسندات وشهادات الإيداع، بينما لا يسمح لها في الإسلام الحصول على الدخل من الديون، وإتّما يجوز لها المساهمة في التمويل بالأسهم عن طريق المشاركة، وجوهر المنع من إعطاء الأموال وتلقّيها بالفائدة التي هي «الربا» ينحصر في الاستغلال غير العادل عندما يتلقّى مالك رأس المال نسبةً محسومةً دون مراعاة ما إذا كان المقترض قد حصل على الربح فعلاً أم أنه خسر ولم يربح شيئاً.

هناك مزية أخرى في صناديق الاستثمار الإسلامية تتعلّق بوجود هيئة للرقابة الشرعية تشرف على مدى مطابقة المعاملات الاستثمارية لمبادئ الشريعة الإسلامية، ولا يوجد نظير لهذه الهيئة إلا في النرويج حيث يعمل في صندوق المعاشات التقاعدية السيادي (صندوق النفط الترويجي السابق) مجلسٌ أخلاقي مكوّن من ثمانية أشخاص،

البروفيسورة بيللا بتايففا، ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي

وينتهج هذا الصندوق سياسة استثمارية وفقاً للمبادئ الأخلاقية منذ دخول قانون الأخلاقيات حيز التنفيذ عام 2004م، ومنذ ذلك الوقت قام الصندوق باستبعاد خمس وخمسين (55) شركة من محافظته استخدمت عمالة الأطفال، أو تلويث البيئة، وملاحظات أخرى لأنشطة غير مسؤولة¹³.

تقدّم المصارف الإسلامية التمويل على أساس مبدأ الشراكة في تقاسم الأرباح والخسائر؛ بدلاً عن دفع الفائدة وتحصيلها، وتعني الشراكة في المصارف الإسلامية أن الطرفين لا يدفعان ولا يحصلان على فائدة محدّدة مسبقاً، وإنما يكون الحصول على العائد اعتماداً على نتائج الاستثمار، ويتمّ الاتفاق على حصّة توزيع الأرباح بين الشركاء عند إبرام العقد، كما يتعيّن أيضاً توجيه الأموال التي يستثمرها المصرف أو عملاؤه إلى المشروعات التي لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية، وتعمل الهيئات الشرعية في المصرف على مراقبة الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية.

كما تقدّم المصارف الإسلامية بالإضافة إلى أنشطتها الرئيسية خدماتٍ خيريةً في شكل «قرض حسن»، وفي بعض هذه المصارف يتمّ إدارة صناديق الزكاة أيضاً، وهذه الخدمات لا توجد عليها أي رسوم، وإن كان يتمّ تضمين معلوماتٍ عن حجم القروض الخيرية «القرض الحسن» في التقارير السنوية لهذه البنوك.

إنّ مبدأ تقاسم الربح والخسارة هو مبدأ عادل ليس من زاوية الرؤية الأخلاقية للمسلمين فحسب؛ بل إنّه كذلك بالنسبة لممثلي الأديان الأخرى. وبهذا المعنى فإنّ المصارف الإسلامية المبنية على المشاركة هي أكثر انسجاماً مع مبادئ العدالة الاجتماعية من البنوك والمؤسسات المالية التقليدية، وهو ما يسمح لنا بتصنيف البنوك التشاركية على أنّها بنوك أخلاقية.

في الآونة الأخيرة هناك اهتمام متزايد بالخدمات المصرفية الإسلامية والأوراق المالية الإسلامية كأشكال بديلة عن الأنشطة البنكية وأدوات التمويل التقليدية؛ حيث يتطوّر التمويل الإسلامي بنشاط في دول غربية مثل المملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وسويسرا. وقد تمّ فتح كثير من «النوافذ الإسلامية» في العديد من البنوك الرائدة في العالم؛ مثل دويتشه بنك «Deutsche Bank»، ويو بي إس «UBS»، وجي بي مورغان «JPMorgan»، وبي أن بي باريسا «BNP Paribas» وغيرها، وسلكت بعض الدول الأوروبية طريق تحسين الإطار التشريعي وتحسين النظام الضريبي من أجل تهيئة الظروف اللازمة لتطويرها. وتعدّ المملكة المتحدة هي البلد الرائد في هذا المجال؛ حيث تحتلّ المرتبة الأولى بين الدول الأوروبية من حيث عدد صناديق الاستثمارات المسؤولة اجتماعياً، وهي الأولى بين الدول الغربية من حيث عدد المصارف الإسلامية.

4- آفاق تطوير المصرفية الإسلامية والتمويل الإسلامي كبديل في روسيا:

يهتمّ عدد من البنوك الروسية بتجربة استخدام أدوات التمويل الإسلامي، ومع ذلك فإنّ الخبراء يقولون بأنّه من المستحيل وفقاً للتشريعات والقوانين الحالية إنشاء مصارف أو نوافذ إسلامية تعمل وفقاً لمبادئ التمويل بغير فوائد. من أجل التغلب على الوضع الحالي، اقترحت جمعية البنوك الإقليمية عام 2011م إدخال توضيحات في استراتيجيّة تطوير القطاع المصرفي في روسيا الاتحادية للفترة حتى عام 2015م تخصّ إنشاء وتطوير الصّيرفة الإسلامية والتمويل الإسلامي البديل (في الصفحة 10 - المادة: 3.5)؛ غير أنّ هذه المقترحات لم تُدرج في هذه الاستراتيجية.

وقد لقيت هذا المصير نفسه محاولة لمجموعة من علماء جامعة العلوم المالية التابعة لحكومة روسيا الاتحادية حيث قدّموا إلى مجلس الدّوما الرّوسى مشروع قانون يتعلّق بالمؤسّسات الماليّة التّشاركيّة الذي أخذوا فيه بعين الاعتبار التّجربة التّركيّة في هذا المضمار؛ حيث يُستخدم مصطلح البنوك التّشاركيّة للبنوك التي لا تتعامل بالفوائد، وإنّما تتعامل وفقاً لمبدأ تقاسم الأرباح والخسائر¹⁴. وقد تمّ تقديم مشروع القانون لمجلس الدّوما في الجمعيّة الاتّحاديّة لروسيا خلال الدّعوة الأخيرة، وكذلك عام 2012م لمجلس الدّوما بتشكيلته الجديدة. وحسب هؤلاء العلماء فإنّ اعتماد هذا القانون سوف يساهم في تشكيل إطار قانوني للتّطوير التدريجي للتّموليل البديل.

ومن غير انتظار للتّغييرات التّشريعيّة تقوم بعض البنوك الخاصّة في بعض المناطق الرّوسيّة باستخدام صيغ التّموليل الإسلامي التي يمكن تطبيقها في إطار التّشريعات والقوانين الحاليّة. على سبيل المثال يقدّم فرع «بنك إلبس التّجاري» وهو جمعيّة مساهمة مفتوحة، وكذا بنك «فوستوك كاييتال» في مدينة «أوفا» تمويلاتٍ لشراء الأصول الثّابتة من خلال صيغة «الإجارة» التي تشبه الإيجار التّقليدي. كما صدرت في داغستان بطاقات السّحب الآلي دون فوائد، وفي تاتارستان ظهرت «Yumart Finans» وهي شركة استثماريّة متخصصة في تقديم الخدمات الماليّة بما يتّفق مع الشّريعة الإسلاميّة، وتقدّم الاستثمارات المباشرة وخدمات الإيجار والودائع الاستثماريّة. وفي موسكو تمّ افتتاح شركة «شمس كاييتال SHAMS KAPITAL» للاستثمار والتمويل التي تقدّم استثمار الأموال وفقاً للمعايير الشّرعيّة وتخصّص في إدارة الاستثمارات الجماعيّة.

يعتبر أوّل صندوق أخلاقي في روسيا هو صندوق «حلال» الإسلامي الأخلاقي، الذي تمّ تسجيله عام (2007م)، وهو صندوق صغير؛ حيث بلغت قيمة صافي أصوله بتاريخ (2012/10/09م) مبلغ (8.5) مليون روبل¹⁵، وتشتمل محافظته على أسهم لشركات روسيّة مطروحة للتداول في سوق الأوراق المالية المشتركة «بورصة موسكو». أمّا مهامّ الرقابة الشرعيّة على هذا الصندوق فتقوم بها مؤسّسة «زرمز» من مدينة قازان، وهي مؤسّسة تتخصّص في الاستشارات الاقتصادية الإسلاميّة.

أمّا في مجال التأمين الإسلامي؛ فقد تمّ تقديم أوّل منتجات هذا النوع من التأمين من قبل شركة «أورو بوليس» للمعلومات والتأمين بمدينة قازان، وبيعها لأولئك الذين يسافرون إلى الخارج منذ شهر يونيو 2012م، بالإضافة إلى التأمين على الحياة هناك التأمين الإسلامي على المركبات ووسائل النقل «CASCO»، وكذا التأمين على ممتلكات الأفراد والمؤسّسات.

على هذا النحو؛ فإنّ منتجات الخدمات المصرفيّة والتمويل الإسلامي لا تسترعي اهتمام علماء الاقتصاد فحسب؛ بل المستثمرين أيضاً. ويعتقد كثيرون بأنّ أدوات التمويل الإسلامي لديها آفاق واعدة باعتبارها مصدراً لتمويل المشروعات المبتكرة؛ حيث إنّ الاستثمار المباشر هو أحد الأشكال الأساسيّة للتمويل الإسلامي. ينبّه آخرون أيضاً إلى الحاجة الماسّة إلى المنتجات المصرفيّة الإسلاميّة؛ خاصّة بالنسبة للشركات الصّغيرة والمتوسطة الحجم، ويقدر خبراء من المركز الرّوسّي للاقتصاد والتمويل الإسلامي الطّلب المحتمل على الخدمات الماليّة الإسلاميّة بنحو ستين (60) مليار روبل¹⁶.

البروفيسورة بيللا بتايففا، ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي

ويشير معظم الخبراء إلى أنّ الطلب الحقيقي الكبير على المنتجات التمويلية والمصرفية الإسلامية لم يتشكّل بعد في روسيا. ويجري التّوصّل إلى استنتاجات مماثلة فيما يتعلّق بالتمويل الأخلاقي بصفة عامّة، بما في ذلك صناديق الاستثمارات المسؤولة اجتماعياً بجميع أنواعها؛ البنوك الخضراء، البنوك الأخلاقية وغيرها. وسوف يستغرق توليد الطلب عليها بعض الوقت، وبالنّظر إلى الخبرة الأجنبية في هذا الموضوع فإنّه بإمكاننا القول بأنّ انتشار التمويل الأخلاقي في روسيا، وظهور بنوك أخلاقية بديلة وأخرى خضراء يعتبر الأفق المأمول في السّنوات القريبة القادمة.

الهوامش:

- ¹ Fare trade, Ethical trade.
- ² LOHAS — Lifestyle of Health And Sustainability
- ³ تقرير منتدى الاستثمار الأوروبي المستدام: (11/1).
- ⁴ لا توجد حالياً منهجية واحدة لتصنيف الاستثمارات المسؤولة اجتماعياً (SRI)، لهذا فإن إحصائيات منظمة (EUROSIF) ومنظمة (USSIF) مختلفة.
- ⁵ المركز الأوروبي لدراسات الاستثمار المسؤول اجتماعياً، على الرابط (تاريخ الدخول: 2012/05/02م): <http://www.eurosif.org/research/eurosif-sri-study/2010>
- ⁶ Банк развития и внешнеэкономической деятельности (Внешэкономбанк)
- ⁷ الفقرة (3.1) من استراتيجيتك بنك التنمية والشؤون الاقتصادية الخارجية [2/ص10].
- ⁸ تمّ تصنيف بنك غرامين ضمن البنوك الأخلاقية، ومع ذلك فإنه بعد سلسلة من المنشورات حول موجة حالات الانتحار لعملاء البنك بسبب العجز عن سداد القروض؛ فإن هذه المسألة قابلة للنقاش وتتطلب تقويماً أكثر شمولاً.
- ⁹ بنك تعاوني لشراء (632) وحدة من مجموعة لويذر في جميع أنحاء بريطانيا. تاريخ النشر: 2012/07/19م، على الرابط التالي: <http://www.banki.ru/news/lenta/?id=3961617>
- ¹⁰ أ. خافونين، لماذا لم تتأثر الاستثمارات المسؤولة اجتماعياً بالأزمة؟ راديو الحرية- موسكو، 2009/09/30م، وهو موجود على الرابط التالي (تاريخ الدخول: 2014/10/14م): <http://www.svobodanews.ru/content/transcript/2172070.html>
- ¹¹ هو بنك عالمي كاثوليكي تعاوني، تتكوّن عضويته من مؤسسات الكنيسة الكاثوليكية وأفراد من القطاع الخاص، تأسس عام 1917م كمنظمة للمساعدة الذاتية ومن أجل الكهنة، أما الكاريتاس فهو مؤسسة دولية اتحادية تضمّ 165 منظمة إغاثية كاثوليكية، وتعد كاريتاس واحدة من أكبر شبكات العمل الإنساني العالمية. (المترجم).
- ¹² بعض الباحثين العرب في الاقتصاد الإسلامي يسمّون هذا البنك (بمصرف الغارمين)، والحقيقة أنّ تسميته الأصلية لا تشي بهذا المعنى، فاسم هذا البنك بالبنغالية هي: (গ্রামীণ ব্যাংক)، و«غرام» تعني القرية أو الريف، والترجمة الحرفية للتسمية الرسمية هي: مصرف القرية. (المترجم).
- ¹³ صندوق المعاشات النرويجي // موقع التمثيل التجاري لروسيا الاتحادية في مملكة النرويج، على الرابط (تاريخ الدخول: 2012/10/18م): <http://www.rusnorge.com/?p=966>
- ¹⁴ يوجد حالياً أربعة بنوك تشاركية في تركيا: بنك آسيا «Bank Asya»، والبنك الكويتي التركي «Kuwait Turkish Participation Bank»، وبنك البركة التركي «Albaraka Türk Participation Bank»، وبنك تركيا للتمويل «Türkiye Finans Participation Bank»، وقد كانت هذه البنوك تسمى «البيوت المالية الخاصة» للتخايل على استخدام مصطلح «الإسلام»، وتبلغ حصّتها حوالي (5%) من القطاع المصرفي بأكمله في البلد.
- ¹⁵ موقع خدمات الوساطة (تاريخ الدخول: 2012/10/10م): <http://bcs.ru/am/pif/fond/fhl.asp>
- ¹⁶ إدار ياخين، كم هي الأموال الإسلامية في روسيا؟ مركز التحليل والمعلوماتية «Islamic Finance Business» على الرابط (تاريخ الدخول: 2012/10/20م): <http://islamicfinance.ru/board/2-1-0-23>

المراجع:

- 1- إدار ياخين، كم هي الأموال الإسلامية في روسيا؟ مركز التحليل والمعلوماتية:
«Islamic Finance Business» على الرابط (تاريخ الدخول: 2012/10/20):
<http://islamicfinance.ru/board/2-1-0-23>
- 2- بنك التنمية والتجارة الخارجية الروسي: Банк развития и внешнеэкономической (деятельности) Внешэкономбанк
- 3- تقرير استراتيجي بنك التنمية والشؤون الاقتصادية الخارجية [2/ ص10].
- 4- تقرير منتدى الاستثمار الأوروبي المستدام: (11/1).
- 5- خافرونين أ، لماذا لم تتأثر الاستثمارات المسؤولة اجتماعياً بالأزمة؟ راديو الحرية- موسكو،
2009/09/30م، وهو موجود على الرابط التالي (تاريخ الدخول: 2014/10/14):
<http://www.svobodanews.ru/content/transcript/2172070.html>
- 6- المركز الأوروبي لدراسات الاستثمار المسؤول اجتماعياً، على الرابط (تاريخ الدخول: 2012/05/02):
<http://www.eurosif.org/research/eurosif-sri-study/2010>
- 7- مقال (بنك تعاوني لشراء (632) وحدة من مجموعة لويديز في جميع أنحاء بريطانيا)، تاريخ النشر:
2012/07/19م، على الرابط التالي:
<http://www.banki.ru/news/lenta/?id=3961617>
- 8- موقع خدمات الوساطة (تاريخ الدخول: 2012/10/10م):
<http://bcs.ru/am/pif/fond/fhl.asp>
- 9- موقع صندوق المعاشات الترويجي، موقع التمثيل التجاري لروسيا الاتحادية في مملكة النرويج، على
الرابط (تاريخ الدخول: 2012/10/18م):
<http://www.rusnorge.com/?p=966>